تضخم الذات الشاعرة في شعر جاسم الصحيّح

سلام سالم حسين
جامعة بابل / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

أ.د. ايمان عبد دخيل
جامعة بابل / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني Email : salamalmurshidi83@gmail.com

الكلمات المفتاحية: النسق الثقافي، سلطة الشعر، سيادة الشاعر، تضخم الذات الشاعرة.

كيفية اقتباس البحث

حسين ، سلام سالم ، ايمان عبد دخيل، تضخم الذات الشاعرة في شعر جاسم الصحيّح، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The poetic self is exaggerated in Jassim Al-Sahih's poetry

Salam Salim Hussein
University of Babylon / College of Arts /the department of Arabic language

Iman Abdul Dakhil
University of Babylon College of Arts /the department of Arabic language

Keywords : cultural pattern, poetry authority, poet sovereignty, poetic self-inflation.

How To Cite This Article
Hussein, Salam Salim , Iman Abdul Dakhil, The poetic self is exaggerated in Jassim Al-Sahih's poetry, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2024,Volume:14,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

The most important thing that this research seeks is to reveal the exaggeration of the poetic self in the poetry of the Saudi poet (Jassem Al-Sahih), through a historical presentation of the system (the authority of poetry) that was produced by Arab masculinity to establish a high status for poetry, and a lofty sovereignty for the poet extending stylistically throughout history. It has appeared (Al-Sahih) through many of his texts, declaring his dominance, cultural superiority, and moral superiority, in compliance with the cultural pattern extending from the pre-Islamic era to the present era. Poetry is still at the top of the cultural pyramid, and the poet is still proud of his transcendent ego. Because the masculine establishment is sharp and strict, and because the authoritarian pattern that masculinity made available to poetry and the poet is pervasive and effective in the culture, influencing the conscience, and dominating the collective unconscious. Ever since masculinity embraced poetry, it has been imbued with the character of exquisite sanctity and established

prestige, which led to the marginalization of other creative products, because poetry serves tribal and social interests. Because it is the cultural support of Arab masculinity, which allowed the poet to feel his distinction, self-eminence, and uniqueness with his superior and transcendent moral energy.

This research objects to the veneration and superiority of poetry, and to the exaggeration of the poet's systematic view. Because poetry is a creative substance in its essence, and it is far from being a transcendent authority, and for the poet to be lofty and prince of speech and action, and superior to cultural existence.

ملخص البحث

أهم ما يسعى إليه هذا البحث هو الكشف عن تضخم الذات الشاعرة في شعر الشاعر السعودي (جاسم الصحيّح)، من خلال عرض تاريخي لنسق (سلطة الشعر) الذي أنتجته الفحولة العربية لتؤسس مكانة عليا للشعر، وسيادة شامخة للشاعر ممتدة نسقياً عبر التاريخ، فقد ظهر (الصحيّح) من خلال كثير من نصوصه، مصرحاً بتسيده وتفوقه الثقافي وعلوه المعنوي، امتثالاً للنسق الثقافي الممتد من عصر ما قبل الإسلام إلى العصر الحالي، فما يزال الشعر على رأس الهرم الثقافي، وما يزال الشاعر يعتز بأناه المتعالية؛ لأن التأسيس الفحولي حاد وصارم، ولأن النسق السلطوي الذي أتاحته الفحولة للشعر والشاعر متغلغل وفاعل في الثقافة، ومؤثر في الوجدان، ومهيمن على اللا وعي الجمعي. فمنذ أن احتضنت الفحولة الشعر طبعته بطابع القدسية الرائقة والهيبة الراسخة، مما أدى إلى تهميش النتاجات الإبداعية الأخرى، لكون الشعر يخدم المصالح القبلية والاجتماعية؛ لأنه العضيد الثقافي للفحولة العربية، مما أتاح للشاعر أن يحس بتميزه وسمو ذاته وتفرده بالطاقته المعنوية الفائقة والمتعالية.

يعترض هذا البحث على تبجيل الشعر وتفوقه، وعلى المبالغة في النظرة النسقية للشاعر؛ لأن الشعر مادة ابداعية في جوهرها، وأبعد بكثير لأن تكون سلطة متعالية، وأن يكون الشاعر شامخاً وأميراً للكلام وللفعل، ومتفوقاً على الوجود الثقافي.

مقدمة البحث

ما يزال الشعر يمارس ضغطه الثقافي المتمثل بالسلطة والهيبة، فهو ابن الفحولة البار، وما تنتجه الفحولة في الأوساط الثقافية العربية يبقى شامخاً على مرّ التاريخ، ومتسيداً على كل النتاجات الابداعية بل وحتى العلمية، فالنسق الثقافي العربي الأكبر هو نسق شعري بامتياز ذلك لارتباطة الوطيد بالفحولة، لكونه يحقق غايتها ويعمق جذورها، فما يزال هذا التأسيس (الجاهلي)

مؤثراً وفاعلاً. ونحن لسنا بصدد الوقوف ضد خصيصية الشعر المعنوية ودوره في الامتاع، وإنما نقف ضد تقديسه، وضد القول بأن الشاعر فوق الكائنات والموجودات كما كان يعتقد قديماً.

تضمن هذا البحث مفصلين رئيسيين سبقتهما ملخصاً للبحث ومقدمة، وتلتهما أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي أفاد منها البحث، تضمن أول المفصلين عرض تاريخي لنظرة الثقافة العامة المتمثلة بالنقاد والأفكار الاجتماعية السائدة التي أسست للشعر سلطة ثقافية عليا ومبجلة، أما المفصل الثاني فقد تناول تضخم الذات الشاعرة لدى الشاعر (الصحيّح) الذي امتثل للنسق القديم الممتد عبر التاريخ، مما جعله يشعر بتفوق ذاته، ويشعر بغلبة الشاعر في الحياة، في النظرة وفي البصيرة وفي الرؤيا والرؤية، وأبعد من هذا فقد وجدناه يشعر بنبوته أمام الوجود، من خلال النماذج الشعرية المختارة التي تجسد هذه المفاهيم النسقية.

توطئة: التأسيس الثقافي لسلطة الشعر

كل سلطة، هي نتاج لنسق ثقافي يخدم مصالح جماعة ما، وهو من يحدد ـ أي النسق ـ سماتها وكيفية مجرياتها العقلية والعاطفية، وتأثيراتها الثقافية وسلوكياتها الإجرائية (الاجتماعية والنفسية) وأبعادها الدينية، بوصفه المحرِّك لها. وحين يكون النسق الثقافي طبيعة عامة، يشكل سلطة قوية وفاعلة لا يصارعها زمن ولا تقف بوجهها أجيال من العلم والمعرفة.

مما لا شك فيه أن بيئة ما قبل الإسلام هي الثقافة الأم، والمنبع الفكري والنسقي لحياتنا العربية، وما كان يسود تلك البيئة هو الشعر، وعفوياً ارتبطت الفحولة بالشعر، إذ وجد العرب في الشعر داعماً لتحقيق الغاية الفحولية؛ فمثلاً: كانت بعض قبائل العرب تنسب أشعاراً للشعراء الجاهليين الأوائل، على إنها قيلت فيهم، والحقيقة ليست هكذا، وإنما هم عمدوا لذلك لأن شعر الأوائل كان موثوقاً ومعتبراً بالنسبة للثقافة، فاستُعمل وسيلة للنزاعات القبلية (الفحولية)، وحيلة تحمل بين طياتها الكذب الثقافي (المُصدَّق به) والمُتهيَّب[1] آنذاك، فصار تأثير الشعر كتأثير الفحولة في تتويج الحيل الثقافية والأنساق، وبرمجة المجتمع العربي على أيديولوجياتها. ومنذ ذلك الوقت بقيت الفحولة مصنعاً للأنساق الثقافية، وسلطة كبرى تتمثلها الثقافة العربية؛ لأنها الحكم الاجتماعي والمعيار القيمي للفرد والقبيلة، والشعر (فوّهتها)، لذا صار ((الشعر من أهم المقومات التأسيسية للشخصية العربية))[2] ، وبقيت الناس تدرك الشعر قبل كل شيء ثقافي.

إن سلطة الشعر هي تأسيس متجدد لأنساق ثقافية أخرى يولّدها الأصل والجوهر ـ أي النسق الذي أنتجها ـ المرتبط بها عبر جسور العقل الجمعي (المتصل والمستقبِل) لتبقى غير منفصلة عن ذاتها وأصلها التكويني، فالعقل الجمعي يرغب بمحاكاتها بدافع فطري يرنو المحافظة على

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٤ المجلد ١٤/ العدد ٤

الأصالة وإرضاء الشعور (النسقي) الزاعم بأن الماضي أفضل من الحاضر، فهي سلطة تحيا على مرّ الأزمان بوصفها نسقاً متعمقاً في جذوره وممتزجاً بمشاعر الجمع، ثم يأتي دور الشعر ليكون فاعلاً في ديمومة الأنساق[٣].

لم يفصل (ابن قتيبة) بين حاجتنا لسماع الشعر وحاجتنا لسماع علم الدين[٤] ، فالشعر من منظاره النسقي والواقعي، له مكانة عليا تقربه من علم الدين. وصرّح (صاحب العمدة) بأن موقفه ((مع ما للشعر من عظيم المزية وشرف الأبية وعز الأنفة وسلطان القدرة))[٥] وهو تصريح مشابه لما يُصرّح تجاه الدين من قبل أصحاب العقيدة القوية والإيمان المطلق بعظمة الدين ومكانته في الحياة، وهذا التصريح مردّه الواقع الثقافي الذي تسيده الشعر.

وأكثر من هذا فقد فسرت بعض آيات القرآن الكريم من خلال الشعر[٦]، لما للشعر من مركزية قوية أهلته ليكون مرجعية ثقافية ولغوية كبرى، تشكل سلطة ثقافية عليا، ونظراً لما تمتع به الشعر من هذا الإمكان الرهيب المتمثل بالذكاء والحس فقد ارتبط بالسحر[٧]، ومن شيمة هذا الذكاء والحس أن يسير الشعر بسلطته التي من شأنها أن تلبس الحق لباس الباطل وتلبس الباطل لباس الحق ذلك بطريقة التمويه والخدع والتخييل[٨]، الأمر الذي دعا الشعراء قديماً أن يدّعوا بأنهم يتلقون أخباراً من الشياطين والجن[٩] . كذلك من أوجه التقارب بين الشعر والسحر: إن الشعر يتمتع بثنائية الخير والشر، كما يتمتع السحر بالنفع والضر. وقديماً قيل: السحر الأبيض والسحر الأسود، وهذه الثنائية تتمثل في الشعر بطريقين هما: المدح والذم[١٠] ، وهما معياري قوة الشعر وهيبته، بل أن (سلطة الشعر) تكمن في هاتين القوتين؛ فمن مدحه الشعر رفعه الله وأغناه وقدر له الحياة الكريمة، ومن ذمه الشعر ضاع قدره عند الله ووضعه[١١] ، بل كان (المدح والذم) لما يحملان من قوة التغيير مقياساً للفحولة؛ فقد عُيب على (ذي الرمة) عدم إجادته المدح والذم، وعُدَّ متأخراً عن الشعراء الفحول[١٢]، أي متأخراً عن (السلطة/القوة) التي يتمتع بها الشعر الفحولي، التي مركزيتها المدح والذم.

والأدهى: فمن سلطة الشعر أن يقف بين الأجر والعقاب، بين الحياة والموت؛ فأمرؤ القيس قائد لواء الشعراء إلى النار، كما روي من حديث للرسول (ص)[١٣] مما يدل على خطورة الشعر في الحياة العربية وسلطته القوية الفاصلة بين الجحيم والنعيم. كذلك قصة (كعب بن زهير) المعروفة، فقد نجّاه نصّ شعري من موت محقق [١٤] .

إن الشعر بهذه الخصوصية الجامحة والمكانة الكبرى جعل الناس يتهمون الرسول (ص) بكتابة الشعر بعد أن جاءهم بالقرآن؛ وذلك تهيباً للشعر، ولقدره وجلالته في الواقع الثقافي[١٥] وجعل القرآن ينزّه الرسول (ص) عن كتابة الشعر، وهذا ما جعل للشعر مكانة أكبر، حتى يومنا هذا؛

فمازلنا كطلبة جامعات في (أقسام اللغة العربية) نُسئل في (الامتحانات): ما هو موقف الإسلام من الشعر؟ وهذا ما يثير تصورنا العميق عن مكانة الشعر في الوجود وهيبته، فنقول: إذا الإسلام كدين متمثل بكتاب ووحي ونبي وأولياء، يسجّل موقفاً تجاه الشعر، فهذا دليل على رفعة الشعر ومكانته العظيمة، حتى انغرست هذه الفكرة في معتقداتنا، لأن كل ما يرتبط بالدين والقدسية يؤثر فينا ويشد تصوراتنا بطابع الحقيقة المنشودة؛ وذلك لمكانة الدين الروحية المتجذرة في أعماقنا. فالإسلام لو تجاهل الشعر ولم يعطه العناية بالذكر القرآني والأحاديث النبوية سواء كان هذا الذكر مدحاً أم ذماً، ولو عدّ الشعر ممارسة إبداعية خاصة كالمهن والحرف التي لم يذكرها، لما كان للشعر هيبة مستمرة وراسخة في ذهن الأجيال المتعاقبة نسقياً، التي جعلت من الشعر عند العرب ما يشابه (توراة الأمة)[١٦] ، فليس الشعر سجلاً لتاريخنا ومآثر أجدادنا فحسب، بل هو ((سجل وجودنا الثقافي))[١٧] ، فمازلنا نسمع جملة (نحن أمة شاعرة) ، في المرتبة الأولى، قبل أن نسمع (نحن أمة حضارة) أو (نحن أمة دين)، ونحن مُسلِّمون لهذا (الصنع الثقافي) ومرحّبون؛ لأن النسق الثقافي بعد أن يتم إشباعنا منه وبرمجتنا عليه، نصبح نطرب لما يتوافق مع المواصفات النسقية [١٨] .

والشعر العربي بعد أن مُنح هذه الامتيازات إلى الحد الذي جعل الناس يفسرون بعض آيات القرآن من خلاله، في العصر الإسلامي، وصولاً إلى العصر العباسي حين طلب أبو جعفر المنصور من المفضل الضبي أن يختار قصائداً من عيون الشعر العربي وروائعه ليؤدب بها ابنه المهدي[١٩] بوصف الشعر هو المثال الأعلى في الأدب والثقافة، تأسس له نسقاً سلطوياً أخذ المرتبة الأعلى من الثقافة، وما زال هذا النسق فاعلاً في لا وعينا ومتجذراً في ثقافتنا، فنحن من آمنّا بهذه السلطة واستقبلناها دون مسائلة وتفكير بدور العلم في الحياة وتسيده على قوى العالم البشرية.

تضخم الذات الشاعرة

بعد أن أسست الثقافة العربية للشعر سلطة ثقافية عُليا، فمن البديهي أن تُصبح للشاعر سلطة تمثلها الأنا الشعرية، وتضخم الذات الشاعرة، كنتيجة لما طبعته الثقافة في ذهن الشاعر، فأصبح من مسؤوليته أمام سلطة الشعر، وأمام ذاته، وأمام المجتمع أن يكون ذا مكانة عالية ومتعالية، تناسب شعوره الفحولي المطلوب لنفسه، وللثقافة الممتدة نسقياً منذ تأسيس السيادة للشاعر إلى يومنا هذا، فقد ((ارتبطت صورة الشاعر في الثقافة العربية بالقيم الرجولية التي طالما تغنى بها سواء في دفاعه عن القبيلة أيام الأزمات، أو في تعبيره عن ذاته وما يملكه من تلك القيم والخصال. وبذلك فقد شكل شعر الفخر في المجتمع العربي ميداناً لتضخيم ذات الشاعر من

خلال امتلاكه نظام القيم العربية الذي عمل على تكريسه بواسطة اللغة ليكون ديواناً يستقي منه العربي ما يشاء من مآثر وأمجاد. ولذلك فقد رسم هذا التصور في الذهنية العربية مثال الشاعر الفحل الذي يتحلى بالقوة وما لها من مظاهر كالفروسية والشجاعة والكرم وعراقة الانتماء))[٢٠] . فهذه المظاهر المعنوية ارتبطت بالفحولة أشد ارتباط، حتى صار النسق الثقافي لا يتحقق شعرياً إلا من خلال تجسيد تلك المظاهر الفحولية، وأهمها (الفخر)، ومنه الفخر الذاتي الذي تظهر فيه ملامح تضخم الذات الشاعرة وتفوقها النسقي.

إن من خلال هذا التأسيس الصارم، بقي النسق الثقافي يتحرك عبر العصور بمكانته وسلطته وبقي الشاعر يحس بصلب كيانه وثقله داخل المجتمع، ((وهذا لم يجعل الشعر معياراً علمياً وتاريخياً فحسب، بل جعل له قيمة أخلاقية، بما أنه ديوان المآثر وسجل الأخلاق، وهذا حوّل الشعراء إلى نماذج بشرية تُحتذى أقوالهم، ومع الأقوال ستأتي الأفعال أيضاً لتكون نموذجاً سلوكياً يُستعاد إنتاجه، وسيتخذ كل قول شعري وكل مسلك شاعري صفة عربية، مذ كان الشعر ديوان العرب، أي أنه صورة العربي النسقية والثقافية، ومن ثم فإن الشعراء سيصبحون أمراء الثقافة))[٢١] .

وبقي قول (ابن رشيق القيرواني) شائعاً في ثقافتنا إلى اليوم ومسلّم به على الرغم من غرابته ومبالغته في التوصيف وفي تثبيت الحقائق:((كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنئتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليداً لمآثرهم وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج)) [٢٢] . فلم يذكر أحد من نقاد الأدب ـ قبل القيرواني ـ هذا الاحتفاء، وربما هو وصف مجازي تصويري وليس حقيقة أو واقعاً حرفياً. نعم، الشاعر هو المحامي عن أعراض قبيلته والمذيع لمفاخرها والمالئ وقت فراغها بما ينشدها من شعر يسليها ويمتعها، والمحرك لمشاعرها، والعازف على أوتار قلبها، والمعزي لها في أوقات الملمات والمثير لحماستها عند الحروب والمشعل نار الانتقام في نفوسها.. لكن لكل قبيلة قاداتها ورجالها وليس الشاعر هو العمود الفقري للقبيلة؛ فهناك شعراء تمردوا وشذوا عن قبائلهم بل خلعتهم قبائلهم منها، وهناك شعراء تغنوا بما في قلوبهم بعيداً عن سلطة القبيلة..[٢٣] وما يهمنا: هو تصديقنا لهذا القول وتداوله، فهو أمر يدل على تصديق كل ما يقال عن سلطان الشاعر، لأن المخزون الذهني عن الشعر والشاعر الذي أسسته الثقافة في لا وعين بأن مكانة الشاعر عظيمة ومقدسة، يستقبِل ويصدّق كل ما يوصف في هذا المضمار.

يصف ابن طبا طبا الشاعر بأنه: ((يخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات ويتوقى حطها عن مراتبها وأن يخلطها بالعامة، كما يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك، ويعد لكل معنى ما يليق به، ولكل طبقة ما يشاكلها حتى تكون الاستفادة من عقله في وضعه الكلام مواضعه، أكثر من الاستفادة من قوله في تحسين نسجه وإبداع نظمه))[٢٤] وأول ما يستوقفنا من هذا القول هو مخاطبة الشاعر للملوك وليس لعامة الناس، لأن عقل الشاعر هو الميزان، وهو المُنظم للحياة والمثبت للحقائق والمبدد للمفاهيم التي تُعارض التنظيم الفحولي.

إن هذه المعطيات تؤكد على أن خلق السيادة للشاعر ليس من ذاته، وإنما بفعل النسق الثقافي الذي أنتجها وحافظ على بقائها ثم تمثلتها ذات الشاعر، فليست هي فكرة فرد ولا إيعاز وحي ولا تشريع إله، بل هي فكر جماعي نشأ قبلياً ليخدم مصالح الحرب ويستوعب العاطفة الجياشة (عاطفة الصحراء المجهولة) ويؤدي الحاجة إلى الحياة؛ أي الحاجة إلى تأسيس مفاهيم وقيم للحياة كطريقة للعيش، فلا وسيلة غير الشاعر في زمن ما فيه من العلم والفن شيء. ففكرة تمكين الشاعر وتبجيله، هي فكرة سياسية قديمة وممتدة عبر العصور الأدبية والثقافية، نابعة من المعرفة أي معرفة طبيعة المخلوق العربي وما يحب، وما يؤثر في وجدانه ويحرك أعماقه ويغير أفكاره، ونابعة من الحاجة للشاعر لأن الشاعر البدوي شاعر جماعة في أغلب الأحيان، وذاته مدمجة مع ذات المجتمع أو القبيلة[٢٥] وحتى بعد أن تحول إلى ذات فردية خاصة بقي مرتبطاً نسقياً بفكر الجماعة التي منحته السيادة الثقافية عبر التاريخ، إلى يومنا هذا.

ويمكن القول: إن شاعر القبيلة، وشعراء الرسول (ص)، وشعراء السلاطين، وسيفيات المتنبي، وخمريات أبي نواس، كل هذه المسميات وغيرها هي مظاهر سلطوية للشاعر المرتبط بمنظومة دينية أو سياسية، أو اجتماعية مؤدلجة ثقافياً تحت مظلة السلطة. والتاريخ يحدثنا عن ملوك بني أمية ومن بعدهم ملوك بني العباس وكيف فتحوا أبواب قصورهم للشعراء ليمتدحوهم ويعززوا سلطتهم الدينية والسياسية المتسمة بالنزعة الجاهلية[٢٦] ، فلم تُفتح أبواب القصور لغير الشعراء، ولم تُقدم الجوائز لغيرهم، ولم تُعقد الجلسات النقدية، وتُدار الأحاديث إلا عن الشاعر ومدحه للسلطان في الدرجة الأساس، وبهذا فقد أسهم المديح في تحول ثقافي؛ من شاعر الجماعة إلى الشاعر الفرد، لأن صفة المديح: (الفردية)؛ فلا يمكن للشاعر المداح إلا أن يكون فردياً متمصلحاً[٢٧] مجاوزاً لقيد القبيلة والجماعة حالماً بما يحصله من جوائز وشهرة، مما أنتج لنا سلطة خاصة بالشاعر ككيان منفرد بذاته الحالمة المتعالية.

إن الشعور السيادي الناتج عن ظاهرة الفحل الشعري، هو أخطر ما أنتجته المؤسسة الشعرية/ الثقافية، التي ارتبطت في أول حينها بطبقات فحول الشعراء، ثم تحولت إلى التفرد والتعالي وبقي

النسق الصادح في الآذان (الشعراء أمراء الكلام)[٢٨] ، ويمكن القول: أن هذا التصور النسقي (أمراء الكلام/ أمراء الثقافة) من أهم مسببات التضخم والتسامي بالذات الشعرية، إذ سمح للشاعر أن يشعر بتوجيه الذائقة نحوه ـ أي نحو ما يحب ويرغب ـ لذلك ((يأتي الفحل على رأس الهرم الطبقي، حيث يتعزز مفهوم التميز، ويبدأ الفحل باكتساب صفاته عبر خلق سمات خاصة به؛ حيث يحتكر لنفسه حق وصف الذات، ولننظر في وصف الذات الشاعرة لنفسها، وهو الوصف الذي اصطنع السمات النسقية للشخصية الثقافية النموذجية))[٢٩] لأنه الفوق، وليس للناس إلا التسليم لهذه القوة الجبارة الهائلة بالمعجزات اللغوية والخيالية التي يسودها تضخم الذات الشاعرة.

يقول الصحيّح[٣٠] واصفاً الشاعر:

كالوقت جاء يدور حول أناه ... ويتيه في صحراء لا جدواهُ

يشكو وكل الأبجدية وحدة ... لقياس عمق الجرح في شكواهُ

سبقَ الكلامَ إلى الكلام كأنما ... من قبله لم تُخلق الأفواهُ

ورأى الوجود.. رآه باباً مقفلاً ... بالأحجيات فهزه ودحاهُ

...

وطوى على يديه المدى فكأنما ... كل المدارات التقت بمداهُ

متجول كالريح في ملكوتها ... حرٌ تربي العاصفات يداهُ

ألفى أناه تدور حول وجوده ... ورأى الوجود يدور حول أناهُ

إن تشبيه الشاعر بالوقت (بوصفه يغطي كل شيء)، ولا يكترثهُ شيء سوى بقائه وسيادته على كل شيء، دليل رمزي على أن الشاعر هو رأس الهرم الثقافي. و (أناه) هنا تورية بلاغية خرجت لغرض التورية الثقافية، في ظاهرها نجد أن الوقت وقت لا يجد من الوجود إلا نفسه. أما المعنى الباطن من التورية فهو توظيف وتضمين (الأنوية) كخصيصة في الشاعر ؛ أناه: أي عظمة ذاته وعمق كيانه. وقوله: "ويتيه في صحراء لا جدواه" أيضاً تورية فالمُعلن: هو التيه المحزن

المضني، أي الضياع، أما المضمر/الباطن: فهو التيه الشجاع، الهيام والفروسية والجري في سمو الخيال لاقتطاف معاني الحياة الكبيرة شعراً. فالشاعر وحده من يملك اللغة، وهو أمير الكلام فلم يسبقه أحد في الكلام، وهذا تعبير مجازي فحواه: أن لا أحداً يستطيع الكلام كالشاعر سواء كان عالماً أم فيلسوفاً. والشاعر أول من فتح باب الثقافة بعد أن كانت خرافات وأساطير. والشاعر وحده من يمتلك سلطة تفوقه بأن يكون حراً كالرياح التي قوتها العاصفة؛ أي الشعر ووقعه، وهو من يحمل ذاتاً أقوى وأكبر من ذات الوجود.

وهذه المعتقدات الثقافية التي تبناها الشاعر في هذا النص هي صورة لما بنتهُ الأنساق الفحولية التي عظمت وجودية الشاعر وسيدته حتى غدا الشاعر بسيادته وأناه العليا متفوق في تصوره (النسقي) على الأشياء والوجود.

ويقول[٣١] :

في الشعر ما يكفي من الإيمان ... لأكون للدنيا مسيحاً ثاني

مقدار ما حرث الصليب أضالعي ... نبتت رؤايَ وأعشبت أوزاني

في الشعر ما يكفي لأولد مرة ... أخرى، ولادة فكرةٍ ومعاني

أصغي إلى صوت الأُلوهة كلما ... قُرِعَتْ بأنخاب الهوى كأسان

روحي تحن إلى الغيوب كأنما ... وُعدت هناك بسرها الرباني

يتضح من هذا النص أن الخيال الشعري ليس خيالاً بالمعنى الفني بل هو صدق أقرب إلى الحقيقة نابع من شعور داخلي مرده تضخم الذات واكتوائها بشعور النبوة والألوهة واستعداد النفس لخوض تجربة الشعور بالمسؤولية تجاه الناس والكون والموجودات، فليس كالشاعر في جبروته وعليائه، وليس كسمو الشاعر الروحي ونبوغه العقلي. وهذه المشاعر الذاتية هي ما رسخته بذهنه الثقافة وبرمجه النسق السلطوي، مما جعله يرى وجوده الكوني هائلاً وعظيماً، كما كان يراه الشاعر الجاهلي؛ وله نص وهذا دليل على قوة النسق الثقافي الممتد لعمقه، الموصِّل بين حاضر الشاعر الثقافي وماضي أمته النسقي.

يقول أيضاً [٣٢] :

فمي، نَسَجَتْ عليه العنكبوتُ ... لهـا بيتـاً يُسَـوِّرهُ السـكوتُ

وَثَمَّـةَ بـين أعمـاقي نبـيٌ ... يحـدثني ولكنـي صـموتُ

وجنـد الجاهليـة خلـف صـمتي ... أخـاف إذا نطقـتَ بـأن يفوتـوا

أخاف على النبي يضيع مني ... أخـاف علـى رسـالته تمـوتُ

أحـس بـأنني فـي كـل معنـى ... يشـير إلـى النبـوة قـد عُنيـتُ

يعتقد شاعرنا أن نطقه من أكبر المخاطر، فهو يعيش النسق الثقافي القديم نفسه، ويشعر بالسلطة التي منحتها إياه الثقافة بوصفه يحمل رسالة نبي وكل نبي مُحارب تتربص به الأعداء لتفتك به وبرسالته. وهو بهذا الشعور استند إلى وحيه الداخلي ومخزونه الثقافي الذي يوعز إليه بأن الشعر رسالة نبوة، وأن الشاعر هو الحق الذي لا يزهقهُ باطل، وهو منبع التأسيس والتحديث لصيرورة الحياة وصورة الوجود، فهو ملكُ الحديث، والعقلية الفذة التي تثمرُ من عطاءها الموجودات وتزدهر القيم. ويأتي هذا الشعور من التصور النسقي العربي، الذي يرى النبوة أعلى المراتب البشرية، فهو ليس كطموح الإنجليزي بأن يكون شاعراً كبيراً، ولا كطموح الفرنسي بأن يكون فناناً كبيرا[٣٣] وإنما مشاعر تضخم الذات في هذا النص تأتي من الشعور بقيمة المثل الأعلى في الثقافة العربية وهو النبي. والطموح لمرتبة النبي عند الشاعر هنا، هو ليس طموحاً دينياً بل كما تبنى جبران خليل (النبوة الإنسانية)، أي النبوة على الحياة الإنسانية (الطبيعية والغيبية)، دون تدخل إلهي، والفرق أن لتجربة النبوة الدينية وحي سماوي، أما تجربة النبوة الإنسانية فلها وحيها الخاص من داخل الإنسان كتجربة جبران[٣٤] .

يقول الصحيّح[٣٥] :

لا أنظـــم الشـــعر لكنـــي أرش بـــه ... ملـــح الحقيقـــة فـــي عـــين الأباطيـــلِ

قصـــائدي رغـــم طغيـــان المجـــاز بهـــا ... حقـــائقٌ لـــم تلـــدها فجـــر أبريـــلِ

فمـــا تـــزال هنـــا فـــي ســـقف حنجرتـــي ... عـــرائش الـــوحي تـــؤوي ألـــف جبريـــلِ

أحـــل فـــي كـــل حـــرف حـــين أكتبـــهُ ... كمـــا يحـــل إلـــهٌ فـــي التماثيـــلِ

وأكســـر اللغـــة الـــوثقى لأُطلقنـــي ... مـــن قيـــدها فـــي احتمـــالات التآويـــلِ

زعمـــاً بـــأن حـــروف الشـــعر أزمنـــةٌ ... تمتـــدُّ تمتـــدُّ فـــي أقصـــى المجاهيـــلِ

مـــن شـــرفة الكـــون ألقـــي نظـــرة فـــأرى ... فـــي كـــل ناحيـــة أشـــباح قابيـــلِ

يتضح في هذا النص الفخر بالموهبة الشعرية وتصوير القدرات الهائلة بصفتها (كونية ومعجزة)، هائلة وجبارة، لا يمتلكها سوى الشاعر، وهذا التصور جاء من منطلق (الأنا الشعرية) الفاعلة في الثقافة العربية في تجارب شعرية عدة، فأغلب الذين تحدثوا بها وعزفوا على أوتارها حدثت لهم مكانة فعلاً (فوق مكانتهم)، وأذكر منهم (المتنبي وأدونيس)، وربما شاعرنا في هذه النص كان يقصد هذا الطريق الذي يشعر من خلاله بعظمته وشهرته التي يطمح أن تساوي شهرة شعراء سبقوه في الشهرة والمنزلة. وهذا هو النسق المضمر؛ طريق يوصل الشاعر إلى مكانة تعلي من شأنه وتزود حضوره الثقافي بين الناس، وهذا ما يرضي التضخم الداخلي للشاعر.

إن بقاء الشاعر المعاصر معتزاً بمكانته وبقيمة وجوده، لا ضير فيه، ولا يشكّل نسقاً ممجوجاً في الثقافة؛ لكن الإفراط في هذا المعتقد والتزمت فيه وتدعيم الأنا لتنتج لنا فخامة ذاتية في زمن ما بعد الحداثة والاكتشافات العلمية والتطور الحضاري والتكنولوجي.. الخ، يعد (نسقاً رجعياً)؛ والنقد الثقافي لا يدعم الشاعر المعاصر الذي مازال يعتقد بأن مكانته في الوجود تشابه

مكانته الأولى في زمن الصحراء والحرب وبداية نشوء الدين، ولا يتفق مع مساواة الشعر للعلم أو مجاوزته في القيم، ولا يقتبل خاصية الارتكاز الثقافي على جانب معين، كما كانت الثقافة العربية ترتكز على الشعر. والنقد الثقافي هو من أشد المحاربين للفوقيات، والتعالي الفني/ النخبوي، الذي نزحت (الأنا الشعرية) من الواقع بوصفها غريزة فحولية عربية إلى الشعر بوصفه تجسيداً لها، حتى صارت نسقاً ثقافياً وشعرياً كبيراً، نتج عنه (تضخم الذات الشاعرة).

إن سيادة الشاعر بعد أن نزحت من عصر التأسيس ـ ما قبل الإسلام ـ إلى العصور اللاحقة كافة، دليل على أنها نسق غير قابل للانكسار وثقافة جارية وسارية وفاعلة في العقل والوجدان، وهذه الثوابت النسقية هي من أهم اشتغالات النقد الثقافي، إذ يسعى لتغييبها عن الثقافة بوصفها ضارة، يرفض ثقافة الاستعلاء والتسيّد على الآخر مهما كانت صفة الإنسان، لكن انتماء الشاعر (جاسم الصحيّح) للفكر القديم ولنسق السلطة الشعرية وعظمة الشاعر قديماً، جعله يحس بأن الماضي هو الأبقى والتأسيس القديم هو من يرفع قدر الشاعر ويحقق له شهرته المرموقة ومكانته السامية، لذلك عمد إلى تبجيل ذاته الشعرية، لكنه بالوقت نفس، تجاوز ما هو نسقي قديم لا يتوافق مع عصره، كالمدح والذم، فلم يمدح سلطاناً، ولا يهجو عدواً؛ لأن النسق الثقافي الجديد أصبح يستقبح المدح والذم ويعدهما نسقين ذميمين، فعمد الشاعر إلى تفجير طاقة المدح بمدحه ما لا يصدمه بالنسق الثقافي، كمدح الآباء والأجداد وأهل البيت (عليهم السلام) وبعض من رجال الدين[٣٦] ، أما الهجاء، لم يهج أحداً في دواوينه الشعرية عامة.

نتائج البحث

١ـ سلطة الشعر هي تتويج فحولي بامتياز، وما ترعاه الفحولة في الثقافة العربية يبقى شامخاً عبر التاريخ، وراسخاً في التصور الذهني وفاعلاً في الوجدان الجمعي للأمة.

٢ـ تبنى الشاعر جاسم (الصحيّح) أفكار الفحولة التي عظمت قدر الشعر والشاعر، بلا وعيه الممتثل للنسق الثقافي القديم، بحثاً عن الشهرة والعظمة، لأن الشعر القديم وما ارتبط به من أفكار وتصورات يعد مثالاً للجودة ورمزاً للقداسة الثقافية.

٣ـ يعتقد الصحيّح إن تضخم الذات الشاعرة طريق للسمو يُغْني الشاعر ويثري تجربته، ويعطيه مكانة ورقياً ثقافياً يفرضه على النسق بجعله محتفياً بتجربته الشعرية كما فعل المتنبي وأدونيس.

٤ـ حاول الشاعر التمسك بالنسق الفحولي القديم الذي أسس للشعر سلطة ومهابة كبيرة، بغية جعله ممتداً إلى المعاصرة ومحافظاً على سمعته الثقافية الراقية، لأن هذا النسق ما زال فاعلاً في الثقافة ومؤثراً في الذائقة الفنية، فقد سعى لترسيخه خدمة لمصالحه الفنية، فلم يمتثل للحقيقة التي

تظهر الشاعر (كياناً منكسراً) يعاني الواقع ويخوض في غمار المجاهيل، لأن هذه الحقيقة الأخيرة قد تضعف من قدره في الشهرة والمكانة العليا بحسب تصوره النسقي.

هوامش البحث

١ـ ينظر: الهوية والسرد، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، د. نادر كاظم: ١٠٦ ـ ١٠٧.

٢ـ النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغذامي: ٩٤.

٣ـ ينظر: المصدر السابق: ٩٣.

٤ـ ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر: ٨٢/١.

٥ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محيي الدين: ١٦/١.

٦ـ ينظر: المصدر نفسه: ٣٠.

٧ـ ينظر: الشعر والسحر، د. مبروك المنّاعي: ٢٨.

٨ـ ينظر: المرجع نفسه: ٢٨.

٩ـ ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب: ٣٦١/٣.

١٠ـ المرجع السابق: ٣٠.

١١ـ ينظر: الشعر والشعراء: ٦٣.

١٢ـ ينظر: المصدر نفسه: ٩٤.

١٣ـ ينظر: نفسه: ١٢٦.

١٤ـ ينظر: نفسه: ١٤٢.

١٥ـ ينظر: العمدة: ٢١.

١٦ـ ينظر: أسطورة الأدب الرفيع، د. علي الوردي: ١١٣.

١٧ـ النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية: ١٤٥.

١٨ـ ينظر: المصدر نفسه: ١٦٨.

١٩ـ ينظر: ديوان المفضليات، المفضل الضبي، شرح: ابن الأنباري:١، وينظر: كتاب الاختيارين، المفضليات والأصمعيات، الأخفش الأصغر، تح: د. فخر الدين قباوة: ٣.

٢٠ـ المرأة من منظور النقد، دراسات في النقد العربي القديم، د.جابر خضير: ١٨ـ ١٩.

٢١ـ النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية: ٩٧ـ ٩٨.

٢٢ـ العمدة: ٦٥.

٢٣ـ ينظر: مكانة الشاعر في العصر الجاهلي، د. ابراهيم عوض، شبكة الألوكة، موقع إلكتروني : https://www.alukah.net/literature_language/١١٩٥٠٠/.

٢٤ـ عيار الشعر، ابن طبا طبا، تح: د. عبد العزيز بن ناصر: ٥٩.

٢٥ـ ينظر: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية:١٤٧.

٢٦ـ ينظر: أسطورة الأدب الرفيع: ١١٨.

٢٧ـ ينظر: المصدر السابق: ١١٨.

٢٨ـ ينظر: المصدر نفسه: ١١٩.

٢٩ـ نفسه: ١٢٥.

٣٠ـ قريب من البحر بعيد عن الزرقة: ٩ـ ٢٥، ٦٣، وينظر: عناق الشموع والدموع: ٣١٣، طيور تحلق في المصيدة: ٧٧، ٢١٣.

٣١ـ كي لا يميل الكوكب: ١٨٥ـ ١٨٨، وينظر: نحيب الأبجدية: ٢٩٨، ٣٠١، طيور تحلق في المصيدة: ٣٧، تضاريس الهذيان: ٨، ٢٦، ٢٧، ٥٠، ١٠١، ما وراء حنجرة المغني: ٤٨٩.

٣٢ـ تضاريس الهذيان: ٧٦ـ ٧٩، وينظر: طيور تحلق في المصيدة:٩٣، قريب من البحر بعيد عن الزرقة:٢٧، ٥٦، ما وراء حنجرة المغني: ٢٢٠.

٣٣ـ ينظر: الثابت والمتحول: ١٤٧/٤.

٣٤ـ ينظر: المرجع نفسه: ١٤٨.

٣٥ـ تضاريس الهذيان: ٣٤ـ ٣٥، وينظر: قريب من البحر بعيد من الزرقة: ١٦٩، ما وراء حنجرة المغني: ٥٥٥.

٣٦ـ ينظر: كاتب الوحي الأخير، وينظر: وألنا له القصيد، أعشاش الملائكة.

مصادر البحث ومراجعه

١ـ الهوية والسرد، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، د. نادر كاظم، ط٢، دار الفراشة للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٦م.

٢ـ النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغذامي، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.

٣. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، ج١، د.ط، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٢م.

٤ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محيي الدين، ج١، ط٥، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.

٥ـ الشعر والسحر، د. مبروك المنّاعي، ط١، دار الغرب الإسلامي، د.م، ٢٠٠٤م.

٦ـ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، ط١، دار الآثار الإسلامية، الكويت، ١٩٧٠م.

7ـ أسطورة الأدب الرفيع، د. علي الوردي، د.ط، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، د.ت.

٨ـ ديوان المفضليات، المفضل الضبي، شرح: ابن الأنباري، تقديم: كارلوس يعقوب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.

٩ـ كتاب الاختيارين، المفضليات والأصمعيات، الأخفش الأصغر، تح: د. فخر الدين قباوة، ط١، دار الفكر دمشق، ١٩٩٩م.

١٠ـ المرأة من منظور النقد، دراسات في النقد العربي القديم، د.جابر خضير، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٦م.

١١ـ مكانة الشاعر في العصر الجاهلي، د. ابراهيم عوض، شبكة الآلوكة، موقع إلكتروني : https://www.alukah.net/literature_language/١١٩٥٠٠/.

١٢ـ عيار الشعر، إبن طبا طبا، تح: د. عبد العزيز بن ناصر، د.ط، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٥م.

١٣ـ طيور تحلق في المصيدة، جاسم الصحيّح، ط١، دار صوفيا، الكويت، ٢٠٢١م.

١٤ـ قريب من البحر بعيد عن الزرقة، جاسم الصحيّح، ط١، دار ميلاد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٨م.

١٥ـ الأعمال الشعرية الكاملة، جاسم الصحيّح، مج٣، ط٢، أطياف للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٨م.

١٦ـ الأعمال الشعرية الكاملة، جاسم الصحيّح، مج١، ط٢، أطياف للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٨م.
١٧ـ الأعمال الشعرية الكاملة، جاسم الصحيّح، مج٢، ط٢، أطياف للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٨م.
١٨ـ تضاريس الهذيان، جاسم الصحيّح، ط١، دار تشكيل للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٢٠م.
١٩ـ الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والاتّباع عند العرب، ج٤، ط٨، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٠ـ الأعمال الشعرية الكاملة، جاسم الصحيّح، د.ط، مركز تبارك الثقافي، بيروت، ٢٠١٨.

Research sources and references

1- Identity and Narrative, Studies in Theory and Cultural Criticism, Dr. Nader Kazem, 2nd edition, Dar Al Farasha for Publishing and Distribution, Kuwait, 2016 AD.
2- Cultural criticism, a reading of Arab cultural patterns, Dr. Abdullah Al-Ghadhami, 3rd edition, Arab Cultural Center, Casablanca, 2005 AD.
3 - Poetry and Poets, Ibn Qutaybah, ed.: Ahmed Muhammad Shaker, vol. 1, d.d., Dar Al-Maaref, Cairo, 1982 AD.
4 - Al-Umdah fi Mahasin Al-Poetry, its Etiquette and its Criticism, Abu Ali Al-Hasan bin Rashiq Al-Qayrawani, ed.: Muhammad Muhyi Al-Din, vol. 1, 5th edition, Dar Al-Jeel for Publishing, Printing and Distribution, Beirut, 1981 AD.
5- Poetry and Magic, Dr. Mabrouk Al-Mannai, 1st edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, D.M., 2004 AD.
6 - The Guide to Understanding Arab Poetry and its Production, Abdullah Al-Tayeb, 1st edition, Dar Al-Athar Al-Islamiyya, Kuwait, 1970 AD.
7- The Myth of High Literature, Dr. Ali Al-Wardi, D. T., Tigris and Euphrates House and Library, Beirut, D. T.
8 - Diwan Al-Mufadaliyat, Al-Mufaddal Al-Dhabi, explained by: Ibn Al-Anbari, presented by: Carlos Yacoub, Jesuit Fathers Press, Beirut, 1920 AD.
9 - The Book of Options, Al-Mufadliyyat and Al-Asma'iyat, Al-Akhfash Al-Asghar, ed.: Dr. Fakhr al-Din Qabawa, 1st edition, Dar Al-Fikr, Damascus, 1999.
10 - Women from the perspective of criticism, Studies in Ancient Arab Criticism, Dr. Jaber Khudair, 1st edition, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2016 AD.
11- The position of the poet in the pre-Islamic era, Dr. Ibrahim Awad, Alukah Network, website: https://www.alukah.net/literature_language/0/119500/.
12- Iyār al-Sha'ir, Ibn Tabba Tabba, ed.: Dr. Abdul Aziz bin Nasser, D. I., Dar Al-Ulum for Printing and Publishing, Riyadh, 1985 AD.
13 - Birds Flying in a Trap, Jassim Al-Sahih, 1st edition, Dar Sophia, Kuwait, 2021 AD.
14 - Close to the Sea, Far from the Blue, Jassim Al-Sahih, 1st edition, Dar Milad for Publishing and Distribution, Riyadh, 2018 AD.
15 - The Complete Poetic Works, Jassim Al-Sahih, vol. 3, 2nd edition, Atyaf Publishing and Distribution, Riyadh, 2018 AD.
16 - The Complete Poetic Works, Jassim Al-Sahih, vol. 1, 2nd edition, Atyaf Publishing and Distribution, Riyadh, 2018 AD.
17 - The Complete Poetic Works, Jassim Al-Sahih, vol. 2, 2nd edition, Atyaf Publishing and Distribution, Riyadh, 2018 AD.
18 - Topography of Delirium, Jassim Al-Sahih, 1st edition, Dar Tashkeel for Publishing and Distribution, Riyadh, 2020 AD.
19 - The Fixed and the Mutable, Research on Creativity and Followership among the Arabs, vol. 4, 8th edition, Dar Al-Saqi, Beirut, 2002 AD.
20 - The Complete Poetic Works, Jassim Al-Sahih, Dr., Tabarak Cultural Center, Beirut, 2018.